

## ٦١ - سورة الجهد

### مدنية وآياتها أربع عشرة

روى الترمذي، عن عبد الله بن سلام قال: «قدعنا نفرأ من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ \* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون» قال عبد الله بن سلام: فقرأها علينا رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غير مرة بما أغنى عن إعادته، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ إنكار على من يعد وعداً، أو يقول قولاً لا يفي به، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان»، ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم، فلما فرض نكل عنه بعضهم، كقوله تعالى: ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾، وقال تعالى: ﴿فلما أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ الآية، وهكذا هذه الآية كما قال ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا بالإيمان ولم يقرؤا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾<sup>(٢)</sup>؟ وقال مقاتل بن حيان: قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به، فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ فبين لهم، فابتلوا يوم أُحُدَ بذلك فولوا عن النبي ﷺ مدبرين، فأنزل الله في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾، وقال قتادة والضحاك: نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون: قتلنا، ضربنا، طعنا، وفعلنا؛ ولم يكونوا فعلوا ذلك. وقال ابن زيد: نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك، وقال مجاهد: نزلت في نفر من الأنصار فيهم (عبد الله بن رواحة)، قالوا في مجلس: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت؟ فأنزل الله تعالى هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أبرح حيساً في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيداً.

ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بَيْنَ مَرْصُومٍ﴾ فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين، إذا صفوا مواجيهين لأعداء الله في حومة الوغى، يقاتلون في سبيل الله من

(١) أخرجه الترمذي والإمام أحمد.

(٢) وهذا اختيار ابن جرير.

كفر بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذ صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»<sup>(١)</sup>. وقال مطرف: كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك، فقال: لله أبوك، فقد لقيت فهاهنا، فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يغيض ثلاثة ويحب ثلاثة، قال: أجل فلا أخالني أكذب على خليلي ﷺ، قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً، فلقى العدو فقتل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانِ مَرْصُوصٍ﴾<sup>(٢)</sup> وذكر الحديث. وقال سعيد بن جبيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصفاهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين، وقوله تعالى: ﴿كَانَهُمْ بَنِيَانِ مَرْصُوصٍ﴾ أي ملتصق بعضهم في بعض، من الصف في القتال، وقال مقاتل بن حيان: ملتصق بعضهم إلى بعض، وقال ابن عباس: ﴿كَانَهُمْ بَنِيَانِ مَرْصُوصٍ﴾ مثبت لا يزول ملتصق بعضهم ببعض، وقال ابن جرير، عن يحيى بن جابر الطائي، عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِيَانِ مَرْصُوصٍ﴾ قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتهم في الصف فجاؤا<sup>(٣)</sup> في لحيي.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَقَدْ كَفَرْنَا بِهِ قَد تَعَلَّمُوا أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup> وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَأخَذْتُ مِنْكُمْ نَصِيبًا مِمَّا كَفَرْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي كَفَرَ أَتَيْتُمْ بِهِ قَوْمًا كَافِرِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ قَتْلَ ظُفُرِهِمْ وَلَا مَنَاجِيَهُمْ وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكنيته (موسى بن عمران) عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿لَم تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، أي لم توصلون الأذى إليّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟ وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار. وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاع الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: ﴿وَنُدْرِهِمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِمْ وَسَاءَ مَا يَصِيرُونَ﴾، ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعني التوراة، وقد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي (أحمد) فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملا بني إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة. وما أحسن ما أورد البخاري، عن جبيرة بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»<sup>(٥)</sup>. قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، لئن بعث محمد وهو حي ليتبعه، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعته وينصره.

وقال محمد بن إسحاق، عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله

(١) أخرجه ابن ماجة والإمام أحمد.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الترمذي والنسائي بنحوه.

(٣) فجاءوا: أي اضربوا (من: وجأ عتقه أو في عتقه) ضربه.

(٤) أخرجه البخاري ورواه مسلم بنحوه.

أخبرنا عن نفسك، قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورات أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام»<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين»<sup>(٢)</sup>. وروى أحمد عن أبي أمامة قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورات أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام»<sup>(٣)</sup>. وقال عبد الله بن مسعود: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، منهم (عبد الله بن مسعود) و(جعفر) و(عبد الله بن رواحة) و(عثمان بن مظعون) و(أبو موسى) فاتوا النجاشي، وبعثت قريش (عمرو بن العاص) و(عمارة بن الوليد) يهدية، فلما دخلا على النجاشي سجداً له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالوا له: إن نقرأ من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا، وعن ملتنا، قال: فأين هم؟ قالوا: هم في أرضك فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: مالك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة، قال عمرو بن العاص: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال: ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله عز وجل: هو كلمة الله، وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر، ولم يعترضها ولد، قال: فرفع عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجاه في الإنجيل، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه، وأوضه، وأمر بهدية الآخرين فرُدَّت إليهما<sup>(٤)</sup>. والمقصود أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها، وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث، وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض، على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، وكذا على لسان عيسى ابن مريم، ولهذا قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم، ورؤيا أمي التي رأيت» أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك، والإرهاص، فذكره صلوات الله وسلامه عليه. وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ قال ابن جريج، ﴿فلما جاءهم﴾ أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوّه بذكره في القرون السالفة، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون ﴿هذا سحر مبين﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِينٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينٍ مُبِينٍ لِيُظْهِرَ عَلَى الْدِينِ الْكِبْرَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ .

يقول تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام﴾، أي لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله، ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، ثم قال تعالى: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شمع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل، ولهذا قال تعالى: ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، وقد تقدّم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه

(١) رواه ابن إسحاق، قال ابن كثير: إسناده جيد وله شواهد من وجوه أخرى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن العرياض بن سارية مرفوعاً.

(٣) أخرجه الإمام أحمد.

(٤) رواه أحمد وأصحاب السير.

كفاية، والله الحمد والمنة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَجٍ يُجْرِي مِن تَحْتِهِ نَهْرٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ۗ بَلَىٰ ۗ لَكُمْ فِيهِ مَغْرَبٌ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ حَسْبٌ لَّكُمْ إِن كُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَٰلِكَ التَّوَرُّ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَالْآخِرَىٰ حُبُوبَهَا نَصْرٌ مِّنْ أَقْوَامٍ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ .

فسر الله تعالى هذه التجارة العظيمة التي لا تبور، التي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى: ﴿تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي من تجارة الدنيا والكد لها والتصدي لها وحدها، ثم قال تعالى: ﴿يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات، وأدخلتكم الجنات، والمسكن الطيبات، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَالْآخِرَىٰ حُبُوبَهَا﴾ أي وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها، وهي ﴿نَصْرٌ مِّنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي إذا قاتلتم في سبيله ونصرتكم دينه، تكفل الله بنصركم، قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلِيَنصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصِرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ أي عاجل، فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة، لمن أطاع الله ورسوله، ونصر الله ودينه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّتِهِ مَن أَنصَارِي إِلَىٰ أَقْوَامٍ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ مَنصَارَ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَشْبَحُوا طَيْفَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ .

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين، أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى، حين قال: ﴿مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل، ﴿قال الحواريون﴾ وهم أتباع عيسى عليه السلام ﴿نحن أنصار الله﴾ أي نحن أنصارك على ما أرسلت به، وموازروك على ذلك، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج: «من رجل يؤمني حتى أبلغ رسالة ربي، فإن قريباً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» حتى قبض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه وشارطوه أن يمنعه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه، وفواله بما عاهدوا الله عليه، ولهذا سماهم الله ورسوله (الأنصار) وصار ذلك علماً عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّت طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ أي لما بلغ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه، ووازره من وازره من الحواريين، اهدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة، فخرجت عما جاءهم به، وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم، وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقاً وشيعاً، فمن قائل منهم: إنه ابن الله، وقائل: إنه ثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس) ومن قائل: إنه الله، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي عليهم وذلك ببعثة محمد ﷺ. قال ابن عباس: ﴿فَأَمَّت طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ بإظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار، فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم.

[آخر تفسير سورة الصف، والله الحمد والمنة]